وتاه بينه لمن التي الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق ولما خاف فرعون ان يزيد موسي في اظهار تلك الحجة فيظهر للناس صدقه قال لموسي فما بال اي حال القرون الامم الاولي كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الاوثان وانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث فمن شقي منهم ومن سعد اراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم يلتفت اليه فلذلك قال علمها عند ربي استاثر به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلكم لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال هذه القرون مثبت عند ربي في كتاب هو اللوح المحفوظ ويجوز ذلك ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه تعالى بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده قوله لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان يخطي الشيء في مكانه فلم يهتد اليه والنسيان ان يذهب عنه بحيث لا يخطر بباله وهما محالان علي علام الغيوب ولا ينسى كما بخلاف العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل تعالى ولا ينسى كما تضل انت وتنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة ثم عاد الي تتميم كلامه الاول وابراز الدلائل الظاهرة علي الوحدانية فقال الذي جعل لكم في جملة الخلق الارض مهدا اي فراشا تنبيه هذا الموصول في محل رفع صفة لربي وخبره محذوف تقديره هو او منصوب علي المدح وقرا عاصم وحمزة هنا وفي سورة الزخرف مهدا بفتح الميم مهدا للصبي وقرا الباقون بكسر الميم وفتح الهاء والف بعد ما وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم اي سهل لكم فيها سبلا اي طرقا بين البراري والجبال والاودية تسلكونها من ارض الي ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء اي مطرا وعدل بقوله فاخرجنا به عن لفظ الغيبة الي صيغة التكلم علي الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها علي ظهور ما فيه من الدلالة علي كمال قدرته والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لمشيئته وعلي هذا نظائره كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ام من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق فاخرجنا به اي اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض وقوله تعالى ازواجا بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى وهو جمع شتيت من شت الامر تفرق نحو مرضى جمع مريض وجرحى جمع جريح فالفه للتانيث اي ازواجا متفرقة ويجوز ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع اي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم والانعام جمع وهي الابل والبقر والغنم يقال رعت الانعام ورعيتها والامر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير اخرجنا اي مبيحين لكم الاكل ورعي

اي اصنافا فاسميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض وقوله تعالى من نبات

الانعام

الانعام اي وبقية الحيوان ان في ذلك اي فيما ذكرت من هذه النعم لآيات اي لعبر لاولي النهى اي اصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لانه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبائح ولما ذكر سبحانه وتعالى منافع الارض والسماء بين انها غير مطلوبة لكونها وسائل الي منافع الاخرة فقال منها اي الارض خلقناكم فان قيل انما خلقنا من النطفة علي ما بين في سائر الآيات اجيب باوجه احدها انه لما خلق اصلنا ادم عليه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل ادم خلقه من تراب حسن اطلاق ذلك علينا ثانيها ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما متولدان من الاغذية والغذا اما حيواني او نباتي والحيواني ينتهي الي النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لانا في كوننا نخلو فيه من النطفة ثالثها روي ابن مسعود ان ملك الارحام ياتي الي الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه والارض التي يدفن فيها فانه ياخذ من تراب تلك البقعة ويذره علي النطفة ثم يدخلها في الرحم واخرج ابن المنذر عن عطا الخراساني قال ان الملك ينطلق فياخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره علي النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي مقبورين بعد الموت ومنها نخرجكم اي عند البعث تارة اي مرة اخرى اي بتاليف اجزائكم المفتتة المختلطة بالتراب ونردهم كما كانوا احيا ونخرجهم الي المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله تعالى ولقد اريناه اي ابصرناه آياتنا كلها اي التسع المختصة عليه السلام وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل فكذب بها وزعم انها سحر وابى ان يسلم فان قيل قوله تعالى كلها تفيد العموم والله تعالى ما اراه جميع الآيات وان من جملة الآيات ما اظهرها علي ايدي الانبيا قبل موسي عليه السلام وبعده اجيب بان لفظ الكل وان كان للعموم قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل شي او يقال ان موسي عليه السلام اراه اياته وعدد عليه آيات غيره من الانبيا فكذب فرعون بالكل او يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكي الله سبحانه وتعالى ذلك علي الوجه الذي يلزم ثم كانه قيل كيف صنع في تكذيبه واباية فقيل قال حين علم حقيقة ما جاء به موسي وظهوره وخاف ان يتبعه الناس ويتركوه في نفسه وهما عظيما اجئتنا لتخرجنا من ارضنا اي الارض التي نحن مالكوها ويكون لك الملك فيها فصارت فرايصه ترعد خوفا مما جاء به موسي لعلمه وايقانه انه علي الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يذل ناصره وانه غالبه علي ملكه لا محالة ثم خيل لاتباعه ان ذلك سحر بقوله بسحرك يا موسى فكان ذلك من البيان مع ما القوه من عادتهم

مكتبة المخطوطات جامعة الرياض

Copyright King Saud University